

الحلقة (٢١)

موضوع تفسير الآيات (١٨٨، ١٨٩، ١٩٠) من سورة البقرة:

يقول الله تعالى {وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ}

◀ سبب نزول الآية: قيل أنه نزل في عبدان بن أشوع الحضرمي، ادّعى مالاً على امرؤ القيس الكندي، واختصما إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فأنكر امرؤ القيس وأراد أن يحلف، فنزلت هذه الآية، فكف عن اليمين، وحكم لعبدان في أرضه ولم يخاصمه.

قوله تبارك وتعالى: {وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ} هذا الخطاب عام لهذه الأمة، أمة محمد صلى الله عليه وسلم، والمعنى: لا يأكل بعضكم مال بعض بغير حق، فيدخل في هذا القمار، والخداع، والغصب، وجحد الحقوق، وما لا تطيب به نفس مالكة، وأيضاً يدخل فيه ما حرّمته الشريعة، وإن طابت به نفس مالكة، كمهر البغي، وحلوان الكاهن، وأثمان الخمر والخنازير، لأن بعضهم قد يدفع المال، ويقول أنا ما عندي مانع، أدفع ثمناً للكهنة ليخبروني بالغيب، أو مهر بغي، لا مانع أن أدفع مالاً لأفعل فاحشة الزنا بهذه المرأة، نقول: لا! ولو دفعته بطيب نفس منك لكن هذا سُحت وحرام، وهي أيضاً لا يجوز لها هذا الفعل، جعله تبارك وتعالى كأكل مالٍ بالباطل، ونظير ذلك قوله تبارك وتعالى {وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ} وقوله {وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ}: أي لا يلمز بعضكم بعضاً، ولا يقتل بعضكم بعضاً، لأن الله تعالى جعل المؤمنين إخوة، فقاتل أخيه كقاتل نفسه، ولا مزه كلامز نفسه.

الباطل في اللغة: هو الذاهب الزائل، فمن أكل هذا المال من غير وجه، فهو باطل ذاهب، بل هو سحت، وكل جسم نبت من سحت فالنار أولى به.

قوله تبارك وتعالى {وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ}

اختلف في المعنى على أقوال:

- القول الأول: قيل الوديعه وما لا تقوم فيه بينة، قاله ابن عباس والحسن.
- القول الثاني: قيل هو مال اليتيم الذي هو في أيدي الأوصياء يرفعه إلى الحكام إذا طولب به ليقطع بعضه.

• القول الثالث: قال الزجاج: تعملون ما يوجب ظاهر الأحكام وتتركون ما علمتم أنه الحق، والمعنى: أي لا تجمعوا بين أكل المال بالباطل وبين الإدلاء إلى الحكام بالحجج الباطلة، وهو كقوله {وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} يعني: تجمعون بين سيئتين، بين أكل هذا المال بالباطل،

ثم إذا حوكنتم أو نُظر فيكم جئتم بأدلة وحجج باطلة، فأنتم قد جمعتم بين السيئتين.

• **القول الرابع:** أي لا تُصانعوا بأموالكم الحكام وترشوهم (تعطوهم رشوة) ليقضوا لكم على أكثر منها، نسأل الله العافية.

قوله تبارك وتعالى {لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ} فريقاً: أي: قطعة وجزءاً، عبّر عن الفريق بالقطعة والبعض والفريق القطعة من الغنم تشدُّ عن معظمها، وقيل في الكلام تقديم وتأخير، والتقدير: لتأكلوا أموال فريق من الناس.

قوله {بِالْإِثْمِ}: أي بالظلم والتعدي (أي: إنَّ أكل أموال الناس بالباطل إثم وبغي وعدوان).
{وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} أي: بطلان ذلك وإثمه، وهذه مبالغة في الجراءة والمعصية، وقد قال عليه الصلاة والسلام في المحفل العظيم في الحج (إنَّ دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا) وقد قال عليه الصلاة والسلام (كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه) وقال عليه الصلاة والسلام (لا يحل دُم امرئ مسلم إلا بطيب نفس منه).
الآية (١٨٩) من سورة البقرة وهي قوله تبارك وتعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}

❖ جاء في سبب نزول هذه الآية عدة روايات:

(١) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الأهلة فنزلت هذه الآية {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ} يعلمون بها حل دينهم، وعدة نسائهم، ووقت حجهم، وقال أبو العالية: بلغنا أنهم قالوا: يا رسول الله لم خلقت الأهلة، فأنزل {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ} يقول: جعلها الله مواقيت لصوم المسلمين وإفطارهم، وعدة نسائهم، ومحل دينهم.

(٢) أن هذا مما سأل عنه اليهود، واعترضوا به على النبي صلى الله عليه وسلم، فقال معاذ يا رسول الله ! إنَّ اليهود تغشانا ويُكثرُونَ مسألتنا عن الأهلة، فما بال الهلال يبدو دقيقاً ثم يزيد حتى يستوي ويستدير، ثم ينتقص حتى يعود كما كان، فأنزل الله الآية، وهذا يُعبر عنه العلماء الأسلوب الحكيم، قالوا: أن يسأل الإنسان عن شيء، فيجاب بشيء آخر أهم، وهنا يقول جلّ وعلا {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ} كيف يبدو صغيراً ثم يكبر ثم يعود صغيراً، هذا أمر واضح ومعلوم، الله جلّ وعلا جاب بما هو أهم، ذكر في الجواب ما هو أهم، وهو أنه مواقيت للناس، وينبغي السؤال عن الحكمة، عن المصلحة، وليس عن كيف خلقتها، فهذا أمرٌ مشاهد وكلٌ يطلع عليه، ولكن الله جلّ وعلا ذكر الحكمة وهي مصلحة الناس منها.

آخر الآية يقول الله تبارك وتعالى {وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا}

❖ جاء في سبب نزول هذا الذي هو آخر الآية:

(١) ما رواه البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: كانوا إذا أحرموا في الجاهلية أتوا البيت من ظهره، فأنزل الله {وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى}: يعني كانوا يتعبدون ويرون أنّ من العبادة أن يأتي الإنسان من ظهر بيته، وهذا بلا شك من الخطأ الذي لا دليل عليه، ورواه أبو داود والطيالسي عن البراء قال: "كانت الأنصار إذا قدموا من سفر لم يدخل الرجل من قبل بابه، فنزلت هذه الآية "

(٢) وقال الحسن البصري: كان أقوامٌ من أهل الجاهلية إذا أراد أحدهم سفراً وخرج من بيته، يريد سفره الذي خرج له، ثم بدا له بعد خروجه أن يقيم ويدع سفره، لم يدخل البيت من بابه، ولكن يتسوره قبل ظهره، فقال الله تبارك وتعالى {وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا}.

← مسألة: قد يسأل سائل ما ارتباط هذا بهذا، أو ما ارتباط أول الآية بآخرها ، مسألة الأهلة ومسألة إتيان البيوت من ظهورها والنهي عن ذلك.

قال المفسرون: اتصل هذا بذكر مواقيت الحج لاتفاق وقوع القضيتين في وقت السؤال عن الأهلة، وعن دخول البيوت من ظهورها، فنزلت الآية فيهما جميعاً، وهذا الحقيقة إجابة موفقة، لما كان السؤال عن شيئين في آنٍ واحد، نزلت الآية فيهما جميعاً، أولها عن الأهلة، والأمر الثاني عن مسألة دخول البيوت من ظهورها، فعلى كل حال هذا وهذا، لما اجتمعا في زمنٍ واحد وجاء السؤال عنهما في وقت متقارب، نزلت الآية فيهما جميعاً.

❖ بعد ذلك ندخل في مفردات الآية

يقول الله تبارك وتعالى {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلَةِ} الأهلة: جمع هلال، وجمع وهو واحدٌ في الحقيقة، من حيث كونه هلالاً واحداً في شهر غير كونه هلالاً في آخر، يعني: أنّ الأهلة تختلف، مع أنه صحيح هو هلال واحد، القمر واحد، كونه هلالاً ثم يكون بدرًا، هذا واحد في كله، لكن لما كان في كل شهر يختلف عن شهر آخر، ويرتبط به في هذا الشهر حكم، والشهر الآخر حكمٌ آخر، جاء الجمع هنا، وأريد بالأهلة هنا: الشهور، وقد يعبر بالهلال عن الشهر لحلوله فيه.

← مسألة: قد يسأل سائل: لماذا سمي الشهر بالهلال ؟ لماذا سمي الشهر هلالاً ؟

(١) وإنما قيل: هلالٌ لأن الناس يرفعون أصواتهم بالإخبار عنه دخل الشهر، الناس يتسامعون ويرفعون صوتهم ويخبرون بأنه دخل الشهر، ومنه استهلّ الصبي إذا ظهرت حياته بصراخه، واستهلّ وجهه فرحاً وتهللاً: إذا ظهر فيه السرور.

(٢) وقيل: هو مأخوذٌ من التبين، فالشهر لا يعرف ولا يتبين إلا إذا رئي الهلال.

قوله تبارك وتعالى {قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحُجِّ} تبينٌ لوجه الحكمة في زيادة القمر ونقصانه، وهو

زوال الإشكال في الآجال والمعاملات والأيمان والحج والعدد والصوم والفطر ومدة الحمل والإجارة إلى غير ذلك من المصالح، كل هذه مصالح واحدة، في العبادات أو في المعاملات أو في العدد أو في الأيمان أو في مدة الحمل أو في الإجارة، كل هذه حكم ومصالح من هذا، وقد امتن الله على الأمة بهذا في آيات أخرى، قال جلّ وعلا {وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ} وقوله جلّ وعلا {هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ} وإحصاء الأهلّة أيسر من إحصاء الأيام، وأن يُعرف الشهر بالهلال، هذا أيسر وأسهل، وهنا الله جلّ وعلا قال: {قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ}: أفرد سبحانه الحج، بالذكر لأنه مما يُحتاج فيه إلى معرفة الوقت، وأنه لا يجوز النسيء فيه عن وقته، بخلاف ما كانت تفعل العرب، العرب كانت تُقدم وتؤخر في أشهر الحج، يتلاعبون بها، هذا بلاشك من ظلمهم وبغيهم وعدوانهم، لكن الحج ذكر لأنه يُحتاج إلى معرفة الوقت فيه، ولأنه أيضاً كان السؤال مرتبط بفعل الجاهلية، فكانوا يتسورون بيوتهم من ظهورها، فهنا نوعٌ من المقاربة.

قوله تبارك وتعالى {وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا} كما ذكرت آنفاً، كان الأنصار إذا حجوا وعادوا لا يدخلون من أبواب بيوتهم، ويرون زيادة على ذلك شرعاً أنه لا يحول بينهم وبين السماء حائل، فإذا خرج الرجل منهم بعد ذلك، أي بعد إحرامه من بيته، فرجع لحاجة لا يدخل من باب الحجرة من أجل سقف البيت، وإثماً يتسنّم ظهر بيته على الجدران، ثم يقوم في حجرته فيأمر بحاجته فتخرج إليه من بيته، فكانوا يرون هذا من النّسك والبرّ، كما كانوا يعتقدون أشياء أخرى، والله جلّ وعلا ردّ عليهم صنيعهم ويبيّن أنّ هذا ليس من البرّ {وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى}.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان الناس في الجاهلية وفي أول الإسلام إذا أحرم رجلٌ منهم بالحج، فإن كان من أهل المدر يعني من أهل البيوت نقب في ظهر بيته فمنه يدخل ومنه يخرج، أو يضع سلماً فيصعدُ منه وينحدرُ عليه، وإن كان من أهل الوبر يعني أهل الخيام يدخل من خلف الخيام، إلا من كان من الحُمس وهم أهل مكة، فإنهم كانت لهم اختصاصات، ومنها أنهم يدخلون من أبواب بيوتهم، وهذا بلا شك في الحقيقة لا دليل عليه، وهو من فعل الجاهلية، وردّ الله جلّ وعلا هذا الأمر، والبرّ الحقيقي هو تقوى الله جلّ وعلا {وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى}.

البر الحقيقي ومن أراد أن يصل إلى هذه الدرجة عليه بتقوى الله تبارك وتعالى، وتقوى الله جلّ وعلا: أن يجعل بينه وبين عذاب الله وقاية بفعل أوامره واجتناب نواهيه، لذلك قال تعالى آمراً بتقواه في ختام الآية {وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} أي: اتقوا الله فافعلوا ما أمركم به واتركوا ما نهاكم عنه لعلكم تفلحون غداً إذا وقفتم بين يديه فيجازيكم على أعمالكم، إن خيراً فخير، وإن شراً فشرّ، فالؤمن يستعد للقاء الله جلّ وعلا في ذلك اليوم العظيم بالعمل الصالح الذي يقربه إلى الله جلّ

وعلا، ومن أفضل الأعمال وأجلّها وأعلاها رتبة تحقيق مقام التقوى لله تبارك وتعالى.

الآية رقم (١٩٠) من سورة البقرة: وهي قول الله تبارك {وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا

تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ}

❖ سبب نزول هذه الآية:

وهو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صُدَّ عن البيت ونحر هديه بالحديبية، وهذه قصة معروفة، وصالحه المشركون على أن يرجع من العام المقبل، رجع، فلما تجهّز في العام المقبل، خاف أصحابه ألا تفي لهم قريش بذلك، وأن يصدوهم ويقاتلوهم، وكره أصحابه القتال في الشهر الحرام، فنزلت هذه الآية.

لا يخفى عليكم أيها الأخوة أنه في صلح الحديبية اتفق النبي صلى الله عليه وسلم مع قريش على أمور، ومنها أنهم لا يدخلون مكة في هذا العام، وإنما يأتون في العام القادم، ومنها أن أسلم وجاء إلى المسلمين فإنه لا يستقبله النبي صلى الله عليه وسلم، وأن من ارتد لا مانع أن تستقبله قريش، إلى غير ذلك، المهم أن الصحابة خافوا أن تردهم قريش فأنزل الله جلّ وعلا هذه الآية {وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ} لو فرضاً حصل قتال فإنكم تقاتلونهم، فكونوا على الأهبة.

قوله جلّ وعلا: {وَلَا تَعْتَدُوا}: أي: لا تظلموا، وقد اختلف في المراد بهذا الاعتداء على التفصيل على

أقوال أربعة:

• **القول الأول:** أنه قتل النساء والصبيان، نعم ونحن قد نهينا، والنبي صلى الله عليه وسلم كان يرسل أمراءه على الحيوش كان ينهاهم عن قتل النساء والصبيان.

• **القول الثاني:** معناه لا تقاتلوا من لم يقاتلكم، مادام أنهم لم يقاتلوكم فاتركوهم، ولذلك الله جلّ وعلا قال في أول الآية {وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ}.

• **القول الثالث:** أنه إتيان ما نهوا عنه {وَلَا تَعْتَدُوا}: هذا في جميع المعاصي، ما في شك أن من يقع في معصية فهو معتدٍ ظالم.

• **القول الرابع:** أنه ابتداءهم بالقتال في الحرم في الشهر الحرام، الابتداء بالمقاتلة، لكن مادام أنهم لم يقاتلوكم لا داعي أنكم تبدؤون بقتالهم.

الحقيقة اختلف في هذه الآية أهى منسوخة أم لا؟ على قولين:

القول الأول: أنها منسوخة، الأمر بالقتال هنا منسوخ، وقد اختلف أصحاب هذا القول في المنسوخ منها على قولين أيضاً:

أحدهما: أنه أولها وهو قوله {وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ} قالوا: وهذا يقتضي: أن القتال يباح في حق من قاتل من الكفار، ولا يباح في حق من لم يقاتل، وهذا منسوخ بقوله {وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ}.

يعني الآية التي معنا فيها تفصيل: أن من قاتل يُقاتل، أمّا من لم يُقاتل فيُكف عنه، ولذلك الله جلّ وعلا قال **{وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ}** ولكن قالوا: إنّ هذا منسوخ بقوله تبارك وتعالى **{وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ}** المعنى: أي: سواء قاتلوكم أو ما قتلوكم فإنهم يقاتلون.

الثاني: أنّ المنسوخ منها **{وَلَا تَعْتَدُوا}**: وأيضاً هؤلاء في المراد بهذا قولان:
أحدهما: أنه قتل من لم يُقاتل.

والثاني: أنه ابتداء المشركين بالقتال، ولكن قالوا: بأنّ هذا منسوخ بآية السيف، على كل حال على خلاف بين العلماء: **« ما المراد بآية السيف؟ »** منهم من يرى أن هذه الآية **{وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ}** وهناك أقوال أخرى في المراد بآية السيف **{وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ}** هذه أيضاً يعني: مما قيل فيها أنها آية السيف والله أعلم، هذا على القول بأنّ الآية منسوخة، وقلنا أنه قيل: أن المنسوخ أولها أو آخرها الذي هو **{وَلَا تَعْتَدُوا}** وهناك تفاصيل فيمن قال بالنسخ.

القول الثاني: يرى أنها محكمة، وأنها غير منسوخة، وأنها على ظاهرها **{وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ}** الذين لم يقاتلونا، لا يقاتلون، ولذلك قالوا إنها محكمة، وأن معنى الآية: قاتلوا الذين أعدوا أنفسهم للقتال، أما من لم يُعد نفسه للقتال فلا يُقاتل، كالرهبان والشيوخ والمجانين وغيرهم، فهؤلاء لا يقاتلون، وهذا حكم باق غير منسوخ، إذا قيل أن المراد هم هؤلاء الطائفة فهذا بلا شك، حتى من قال إنه منسوخ، فإن الإسلام يحرم قتل العجزة وكبار السن والمكفوفين والصبيان والنساء والمجانين، هؤلاء لا يقاتلون.

في تفسير هذه الآية: مادام الكلام حول القتال والإسلام له شريعته الغراء وأحكامه السامية في مسائل القتال، فالإسلام لا يتشوّف للقتل والتدمير، الإسلام لا يتشوّف إلى إراقة الدماء، الإسلام دين السماحة والتيسير، دين العدل، دين يرغب الخير للبشرية جمعاء، وهو دين الإنسانية، دين يفرح أن يدخل الناس فيه، ولا يفرح بإراقة الدماء ومضايقة الناس وإكراههم **{لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ}**.

فالعلماء هنا اختلفوا في أول آية نزلت في إباحة القتال **على قولين:**

• **القول الأول:** أنها قوله تعالى **{أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ}** في سورة الحج، قاله أبو بكر الصديق وابن عباس وسعيد بن جبير والزهري.

• **القول الثاني:** أنها هذه الآية **{وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ}** والله أعلم، سواء كان هذا أو هذا فالمسألة مرتبطة بأحكام وتفاصيل.